

التنغيم وأثره الدلالي في الخطاب العربي

نجاح آدم الهادي

اللغة العربية – اللغات -أكاديمية الدراسات العليا- فرع الجبل الغربي- الزنتان -ليبيا

Mh0947091@gmail.com

Intonation and Its Semantic Impact in Arabic Discourse

Najah adam al-hadi

Arabic language -languages – the academy of graduate studies

Zintan- Libya

تاريخ الاستلام: 18-9-2026، تاريخ القبول: 28-9-2026، تاريخ النشر: 29-9-2026،

الملخص

التنغيم ظاهرة صوتية يمتلكها الإنسان، وميزة حباه الله بها، لها أثر قوي في توجيه المعاني، فالتنغيم وسيلة يمكن نقلها وتلقيها اعتماداً على طبقات الصوت وأنغمته الصاعدة والهابطة والمستوية للفرقة بين معاني التراكيب المتعددة، كما أنه مهارة إقناعية أو تهدئة أي على سبيل القبول والرفض فهو محرك خطابي عاطفي نفسي يساهم في علاج قضايا مختلفة، وقد وقفت في بحثي هذا على حد التنغيم وأنواعه، وأثره في الخطاب القرآن وفي الكلام العربي الشعري والأحاديث النبوية الشريفة، وبيان أثره في توجيه الدلالات المختلفة للتراكيب اللغوية الموحدة اعتماداً على موسيقى الصوت والأداء النغمي، فنتبين أهميته وأثره ووظيفته من الجانب التطبيقي له.

الكلمات المفتاحية: التنغيم، الخطاب، الدلالة، المعاني.

Abstract

Intonation is a vocal phenomenon possessed by humans, a characteristic bestowed upon them by ALLAH. It holds a powerful influence on conveying meaning. Intonation is a tool that can be mastered and learned, relying on vocal registers and their ascending, descending, and level patterns to differentiate between the meanings of unified phrases. It is also a persuasive or threatening skill, influencing the flow of acceptance or rejection. It is a rhetorical, emotional, and psychological driver that has contributed to addressing various issues.

In this research, I have focused on the definition and patterns of intonation and its impact on Qur'anic discourse and Arabic speech (poetry and the Prophetic Hadiths),

demonstrating its effect on directing the different meanings of unified linguistic structures based on the musicality of the voice and intonational performance. Thus, its importance, impact, and function become clear from its practical application.

Keywords: Intonation - Discourse - Semantics, Meanings

مقدمة

تتميز لغتنا العربية بجملة من الظواهر الصوتية التي تؤثر على فهم المعنى التركيبي للعبارات وهذه الظواهر ليست من بنية الجمل فهي غير ظاهرة أمام مرأى العين بل ملمحاً له وظيفية ودور دلالي ومن هذه الظواهر ظاهرة التنغيم. يعد التنغيم ظاهرة صوتية "فونولوجية" هامة في دلالة الكلام وبه تتولد معاني مختلفة لعبارة واحدة بحسب نطق كلمات العبارة الواحدة وتفاوت نغماتها بين هبوط وصعود ووقف ، فأحياناً يفهم من الجملة أنها تهديد أو استعطاف أو استفهام أو إخبار وكل هذا تحدده نغمة المتكلم فيستبان قصده.

فالتنغيم عنصر من عناصر السياق الهامة وبدونه تتأرجح دلالات التراكيب اللغوية المنطوقة فهو يقتصر على المسموع وهيئة نطقه دون المقروء ومن النادر تخلو لغة بشرية منه.

والتنغيم مصطلح من مصطلحات الدرس اللساني الحديث ويقصد به التغيرات الصوتية التي تحدث في الصوت أثناء الكلام المتواصل المرتبط. وتجدر الإشارة إلى أن هذا المصطلح جديد في تسميته ولكن له جذور عربية أصيلة، وسنتطرق لإثباته في المبحث التطبيقي، وإن اختلفت مسمياتها أو لم يستقر على مصطلح واحد في تناولها إلا أنها موجودة بيّنة، وقد نتج عن اختلاف الترجمة تعدد المصطلحات في العربية لمصطلح التنغيم

وهي: موسيقى الكلام، والنغمة الصوتية، والنبر الموسيقي¹ (ينظر: د. إبراهيم أنيس، 1975م)، الأصوات اللغوية. وكلها تدور حول معنى واحد وهو ارتفاع الصوت وانخفاضه أثناء الكلام.

وقد عرض د. إبراهيم أنيس لظاهرة التنغيم بقوله: «إن الإنسان حين ينطق لا يتبع درجة صوتية واحدة في النطق بجميع الأصوات، فالأصوات التي تتكون منها المقطع الواحد تختلف في درجة الصوت كذلك الكلمات تختلف فيها... ويمكن أن نسمي درجة الصوت بالنغمة»². (المرجع نفسه، ص103) أما عن علماء العرب الأوائل فقد عرضوا لظاهرة التنغيم ووظيفتها وإن لم يتفقوا على مصطلح دراسي بعينه، فكلّ تناولوه من منظوره الخاص وبطريقة عرضه للدرس الصوتي ولم يتناولوه بوجه خاص كدراسة مستقلة ، يقول د. تمام حسان: «العربية لم تعرف هذه الدراسة في قديمها»³. (حسان تمام ، 1955م، ص163)

الا انهم مارسوه في تطبيقهم الفعلي للكلام لا بالتلقين أو بالقوانين والقواعد إنما بالسليقة و الميراس ، فالتنغيم عنصر موجود في كلامهم المنطوق ودلالته على ذلك إيفاءه بالمعنى المطلوب تحت بنود السياقات الخطابية ومراعاة مقام الحال ومقام مقتضى الكلام، حتى أنه أحياناً قد يخطئ بعضهم في التلوينات الموسيقية التي تلبس الصوت المنطوق فيرشدهم أهل الخبرة والذوق للصواب، ونذكر من هذا قصة أبي الأسود الدؤلي مع ابنته فهو لم يدرس التنغيم إنما طبقه عملياً باستعباده لموطن الخطأ واستوعب أثر التنغيم ووظائفه وأبعاده بالسليقية الناطق بها أهلها الاسوياء .

وقبل البدء في استعراض لجهود علماء العرب سأبداء يذكر التنغيم عند نبي الله محمد صلى الله عليه وسلم تنزيهاً وتشريفاً له، إذ يُروى أن أبو معمر قال: حدثنا عبر الوارث عن الحسين، عن عبد الله بن بريدة عن يحيى بن يعمر حدثه أن أبا الأسود الديلي حدثه أبا ذر رضي الله عنه قال: «أتيت النبي فقال: ما من عبد قال: لا إله إلا الله ثم مات على ذلك إلا دخل الجنة. قلت: وإن زنى وإن سرق؟ قال: وإن زنى وإن سرق. قلت: وإن زنى وإن سرق؟ قال: وإن زنى وإن سرق. قلت: وإن زنى وإن سرق؟ قال: وإن زنى وإن سرق على رغم أنف أبي ذر».¹ (البخاري أبو عبدالله ، 1422 هـ ، ص149)

فالشاهد هنا أن الحديث قبل تدوينه ووضع علامات الترقيم كان منطوقاً حالياً من علامات وبعبارة واحدة (وإن زنى وإن سرق) تكررت بين سؤال وجواب ست مرات وكانت بين إجابة وسؤال وتأكيد واستغراب ودهشة وتجيب كل هذه التعابير النفسية التي صحبت الموقف الخطابي كان عاملها الرئيسي النغمات المتباينة بين هبوط وصعود وتسوية فأغنت عن ان تنصدر العبارات بأدوات استفهام أو تأكيد ونابت عن ذلك وعلى هذا نرى أن التنغيم ظاهرة صوتية ارتبطت بعلم العربية مبنية على أساس الفهم والتلميح ومراعاة مقام الحال ومقتضاه.

وكان علماء العربية على وعي تام بها ولم يأتوا بدراسة نظرية مكتملة لها وكل تناولها كظاهرة صوتية مرتبطة بظواهر أخرى .

ونذكر في هذا المقام الخطوة الكبيرة التي ألقى بها رائدها شيخ العربية الخليل بن أحمد الفراهيدي في ظلال التنغيم وموسيقى الشعر وذلك بنظمه للأوزان الشعرية فقد شكل من موسيقاه تركيبات وعناصر مكونة منه وقد عمق التفكير وطول النظر إلى استقصاء موسيقى الشعر وهذا العمل القدير دل على فكر ثاقب وإدراك سابق لما يحتويه الشعر من نغمات مختلفة تتنوع بتنوع أنماط الكلام وأبنية الشعر، وبهذا قد يكون له سبق في تأسيس نظرية النغم وإن لم يضع لها أطراً أو يرسم لها خطوطاً ويبين درجاتها وطبيعتها في فكرة علمية قائمة بذاتها وخير دليل على ذلك ما أطلقه الدارسون على مؤلفه "بموسيقى الشعر"¹ (بشر، كمال ، 2000م ، ص549)

وعلى هذا يجب أن يرد القول على كل من اتهم العربية بأنها غفلت عن نظرية التنغيم، بل يجب أن يعترف بأن محاولات الخليل. مثلت بذرة أولى قابلة للنماء، والناظر في التراث العربي يرى محاولات تلت الخليل نذكر سيبويه في حديثه عند نداء الندبة، إذ يقول: «اعلم أن المندوب مدعو ولكنه متفجع عليه، فإن شئت ألحقت في آخر الاسم الألف لأن الندب كأنهم يترنمون بها»¹ (سيبويه، عمرو ابن قمبر، 1988م، ص220)

فلاحظ من قوله: مدعو ولكنه متفجع عليه بأن المنادى مدعو ولكنه بنغمة تفجع وتحسر فقد استدرك النداء بإلحاق حال التفجع وكأنه يرسم لك صورة لكيفية نطق النداء النغمة ولزيادة تأكيد التفجع إجاز إلحاق آخر الاسم ألفاً وكأنه أشار لنغمة نوعها صاعدة، فكل هذا إحياء لنا بفهمه وإمامه لموسيقى الصوت و مدى تأثيره على السامعين.

ونرى ابن جني (ت 392هـ) في كتابه سر صناعة الإعراب أفرد باباً أسماه بـ «هذا العلم هو علم الأصوات والنغم» فأستعمل مصطلح التنغيم استعمالاً صريحاً وربطه بالمنطوق مدركاً أن النغم جزء من تركيب الكلام وخواصه .

ويذكر له أيضاً مثاله عن حذف الصفة، إذ يقول: «وقد حذفت الصفة ودلت الحال عليها وذلك فيما حكاه الكتاب من قولهم "سير عليه ليل" وهم يريدون ليل طویل»² (ابن جني أبو الفتح عثمان 1988م، ص372)، ففيه إشارة على أنه اقتصر على الموصوف وحذف الصفة، وقد أغناه كيفية نطق الموصوف (ليل) عن تكملة الجملة بذكر صفتها (طویل) وذلك من خلال تركيز نغمة معينة على كلمة (ليل) فالبسها تفخيماً وتعظيماً واستطالة ما يقوم مقام (طویل).

مشكلة البحث

يعالج هذا البحث المشكلة التالية:

ما دور التنغيم في إبانة المعاني؟

وما مدى تأثيره على السامعين؟

هل يمكن أن يكون وسيلة تعليمية فعالة؟

هل له دور في فض اللبس الدلالي عندما تتفق بُنى الجمل النحوية؟

الدراسات السابقة

وقد ساندتني في دراسة هذا الموضوع عدة دراسات تناولت موضوع التنغيم جملة وتفصيلاً أهمها:

الأصوات اللغوية للدكتور إبراهيم أنيس.

علم الأصوات للدكتور كمال بشر.

مناهج البحث في اللغة للدكتور تمام حسان.

منهج البحث

أنوه أنني استخدمت المنهج الوصفي موظفاً التحليل كأداة لعرض النماذج المختارة.

أهداف الدراسة

تهدف الباحثة في هذا الموضوع لما يلي:

- تبيان دور التنغيم كعنصر صوتي في تغيير وتوجيه دلالة الخطاب داخل السياق.
- عرض المظاهر الدلالية المتنوعة والمختلفة بناءً على تغير النبرات والنغمات الصوتية في النصوص العربية.
- تحليل النماذج النصية العربية تحليلاً صوتياً دلالياً ينبئ عن عمق النص وأبعاده المقصودة.

الأهمية

وتتمثل أهمية البحث في الآتي:

- انتقال النص من كونه مجرد حروف صامتة إلى صور حية ناطقة تنبض بالمعاني.
- العمل على تفكيك النصوص التي تحتل أكثر من وجه إعرابي، وبالتالي أكثر من وجه دلالي، والفصل بينها عن طريق التنغيم الصوتي مما يجعل التنغيم قالباً معيارياً للمفسرين والمحليلين.
- الاعتماد على التنغيم كأداة تنمية لتذوق النصوص الأدبية باعتباره آلية لتحديد مواطن الجمال بناءً على التنوع الصوتي وخاصة في الشعر والخطابات.
- تكامل مستويات الدرس اللغوي فيربط الباحث بين المستويات المختلفة لخدمة النصوص من مستوى صوتي ونحوي ودلالي مؤكداً أنه اكتمال المعنى لا ينفك عن امتزاج اللفظ بالمعنى وأدائه بطريقة صحيحة.

الأسباب

أما سبب اختياري لموضوع التنغيم فيمكن في الرغبة العلمية لمعرفة دور التنغيم في نقل الدروس العربية من النص المكتوب إلى المنطوق الحي المتناغم مع مقصود المتكلم، وكيف لهذه الظاهرة الصوتية أن توجه النصوص من إطارها النظري التجريدي إلى واقع التحليل والتذوق والتطبيق، كما أن الأوجه اللغوية المتعددة تستدعي وجود حكم لغوي يفصل بين التراكيب اللغوية ويفك الالتباس الدلالي ويذهب بالمعنى إلى مقصود المتكلم الحقيقي، إضافة إلى ذلك إبراز عبقرية ومرونة اللغة العربية في امتلاكها أساليب تعبيرية مختلفة وإيقاد النقد الأدبي باعتماده على إنصات النص وعدم الاكتفاء بالعين والمشاهدة فالنصوص العربية غنية حية تستحق الرصد والتحليل.

اقتضت طبيعة البحث أن يستهل بمقدمة تليها ثلاثة مباحث ، لكل مبحث مطلبان، اما المبحث الأول فكان بعنوان: مفهوم التنغيم بين القديم والحديث ووظائفه وأنماطه وقد عنون المطلب الأول من ب: مفهوم التنغيم قديماً وحديثاً ووظائفه ، أما المطلب الثاني عنون ب: أنماط التنغيم

والمبحث الثاني كان بعنوان : التنغيم في التراث العربي و أثره الدلالي في تفريق المعاني

وقد عنون المطلب الأول منه ب: الجذور العربية للتنغيم ، ظلال من آراء الفراء والجاحظ وابن جني والجرجاني.

والمطلب الثاني عنون ب: الأثر الدلالي للتنغيم في المعاني

أما المبحث الثالث و الأخير فكان بعنوان : نماذج تطبيقية عن صور التنغيم في العربية وقد عنون المطلب الأول منه ب: تحليل النصوص العربية من منظور التنغيم ودوره في إبراز المعنى المبتغى

أما المطلب الثاني عنون ب: خلاصة القول عن ظاهرة التنغيم وعرض نتائج الدراسة ،وقد ذُيل البحث بقائمة المصادر والمراجع.

المبحث الأول:

مفهوم التنغيم بين القديم والحديث، ووظائفه، وأنماطه.

- المطلب الأول: مفهوم التنغيم قديماً وحديثاً ووظائفه.

- المطلب الثاني: أنماط التنغيم.

المبحث الثاني:

التنغيم في التراث العربي وأثره الدلالي في تفهم الخطاب.

- المطلب الأول: الجذور العربية للتنغيم، ظلال من آراء الفراء والجاحظ وابن جني والجرجاني.

- المطلب الثاني: الأثر الدلالي للتنغيم في المعاني.

المبحث الثالث:

نماذج تطبيقية عبر صور التنغيم في العربية.

- المطلب الأول: تحليل النصوص العربية من منظور التنغيم ودوره في إبراز المعنى.

- المطلب الثاني: خلاصة القول عن ظاهرة التنغيم وعرض نتائج الدراسة

المبحث الأول: مفهوم التنغيم بين القديم والحديث، ووظائفه، وأنماطه.

- المطلب الأول: مفهوم التنغيم قديماً وحديثاً ووظائفه .

التنغيم لغة: عرّفه الخليل بن أحمد الفراهيدي: «النغمة جرس الكلام وحسن الصوت من القراءة ونحوها»¹ (الفراهيدي ، الخليل بن احمد ، (د . ت) ، ص246)

وعرفه ابن منظور بقوله: جرس الكلمة وحسن الصوت في القراءة وغيرها² (ابن منظور، 1414هـ ، لسان العرب).

أما اصطلاحاً: عرّفه د. محمود السعران بقوله: «المصطلح الصوتي الدال على الارتفاع والانخفاض في درجة الجهر بالكلام».³ (السعران، 1980م، علم اللغة). وعرّفه د. تمام حسان بقوله: «ارتفاع الصوت وانخفاضه أثناء الكلام».⁴ (حسان تمام ، 1955م، ص164) ونقارب تعريف الجاحظ له بقوله: «والصوت هو آلة اللفظ والجوهر الذي يقوم به التقطيع، وبه يوجد التأليف، ولن تكون حركات اللسان لفظاً ولا كلاماً إلا بالتقطيع والتأليف، وحسن الإشارة باليد والرأس»⁵ (الجاحظ، عمر ابن بحر، 1423هـ، ص84). وتجدر الإشارة إلى أنه أول من عرف التنغيم بكونه مصطلحاً حديثاً هو د. إبراهيم أنيس بقوله: «موسيقى الصوت».⁶ (الحازمي ، عليان ، 2007م، ص46.)

أما التنغيم في المدارس اللسانية الأوروبية فقد تبنى فيرث Firth صاحب المدرسة الإنجليزية مصطلح (Prosodic Features، والذي قابله به د. تمام حسان باسم (التطريز) محاكياً معناه⁷ (ينظر تمام حسان ، 1955م)، ويعني به أي - فيرث - المسحات الصوتية أو التلوينات التي تكسو المنطوق كله⁸ (بشر ، كمال ، 2000م ، ص498). فمصطلح التطريز كان تشبيهاً بتطريز الثوب وزخرفته ليكسبه جمالاً ودقة، ويجعله حسن المنظر ومثيلاً التطريز في الكلام المنطوق يجعله مستساغاً مقبولاً بفعل تلك النغمات المصاحبة له.

ويطلق على هذه التطريزات الصوتية عدة تسميات منها: فونيمات فوق التركيبية، فونيمات ثانوية، أو فوق القطعية⁹ (بشر ، كمال ، 2000م، ص531)

أما هذه التلوينات الصوتية يمكن تقسيمها لمستويات متعددة، أهمها:

المستوى الصوتي: والذي بدوره يدرس كيف تنطق هذه الأصوات من نبر وتنغيم ووقف أو سكت.

المستوى الإدراكي: والذي بدوره يركز على المعاني التي حملتها الجمل بواسطة هذه الظاهرة الصوتية كتعجب أو تهكم أو تهديد أو غير ذلك.

المستوى الوظيفي: الذي يتناول هل لهذه الظاهرة دور في المتلقي وهل أثرت في نفسه سلباً أو إيجاباً¹ (بوراس ، سليمان 2017م ص8 -ص9).

فالتنغيم مصطلح لساني يقابل لفظ Intonation، يقول روبنز معرفاً بالتنغيم: «تتابعات مطردة من الدرجات الصوتية المختلفة»² (الحازمي ، عليان محمد ، 2007م، ص49)

وظائفه:

يقول د. كمال بشر: «ما أحوج النحو (علم التراكيب) إلى النظر الصوتي في التحليل والتفسير»³ (يشر ، كمال ، 2000م، ص28). فالتنغيم وسيلة جد مهمة في تنميط الجمل وتوجيه الإعراب وإبراز المعاني، فهو يفصح عن دلالة الجمل كما يبرز طبيعة التركيب موافقاً لمقام الحال، وإلى هذا يذهب د. تمام حسان فيقول: «فللتنغيم إذاً وظيفة نحوية، والوظيفة الأصواتية للتنغيم هي النَّسَق الاصواتي، الذي يستنبط التنغيم منها، أما الوظيفة الدلالية، فيمكن رؤيتها لا في اختلاف علو الصوت أو انخفاضه فحسب، ولكن في اختلاف الترتيب العام لنغمات المقاطع في النموذج التنغيمي»⁴ (حسان تمام ، 1955م، ص164)

وعلى هذا فالتنغيم وظيفتان أساسيتان هما:

أ. وظيفة نحوية: للتنغيم وظيفة نحوية فيصليية فبواسطته نفهم اكتمال الجملة أو عدم اكتمالها، كما أنه يفرز الجمل إلى أنماط مختلفة فقد تكون تقريرية استخبارية، وقد تكون استفهامية أو تعجبية، وكل له حالة إعرابية خاصة تبعاً لنمط الجملة المنطوق بها.

ب. وظيفة دلالية: فاختلف النغمات يتبعه اختلاف المعاني واختلاف المعاني يتبعه اختلاف المواقف النفسية والاجتماعية، ويبرز وجهات النظر الخاصة بالمتكلم بين قبول ورفض وزجر وضجر وغضب ودعاء وتمني واستعطاف وغير ذلك.

فالتنغيم دور ووظيفة هامة في توجيه المعنى وتحديد فيضيف على التراكيب المنطوقة معاني جديدة لا يمكن الوصول إليها بمجرد الاكتفاء بمعاني المفردات فنلتمس له علاقة مباشرة بعام المعاني، إذ يوجد قاسم مشترك بينهما ألا وهو إظهار المعاني المضافة للنص والتي لا تكون بين مفردات الكلام، وإنما تسوقها القرائن المعنوية والسياق ومقتضى

الحال، بل أراه أحياناً يقاسم العناصر الأخرى في وضع ملامح علم المعاني وتحديد أطره، وإلى هذا ذهب أحد الباحثين حيث قال: «له حضور التنغيم في الدرس البلاغي بشكل ملمحاً أساسياً ومهماً بل يسير جنباً إلى جنب مع علم المعاني في تحديد أطره وتميز تراكيب جملة للوصول بها إلى أمن اللبس الذي يعتريها أو المساهمة في تحديد تنوع الجملة التي تؤدي بأكثر من لون موسيقي»¹ (الشرع، آلاء حسين و الشاروط دريد ، 2004م، ص159) وتعقيباً على قول الباحثين، فإن علم البلاغة يحصر النصوص العربية بين معاني الخبر والإنشاء، والتنغيم ساهم في تمييز الجمل الخبرية والإنشائية وسار بالنص لبر الأمان بعيداً عن أي لبس، فالناظر المتأمل يلحظ فرقاً واضحاً بينهما من خلال طريقة النطق، فالجمل الخبرية تكسوها نغمات مائلة للحدة والجدية وتحمل المؤكدات التي تعزز من قوتها وصحتها في وقوع الحدث، بينما الجمل الإنشائية غالباً ما تكتسي بالتلطف والرخاوة والسكينة، فالغاية منها الإقناع والاستجابة والإصغاء للمطلوب، ومثال ذلك: ما ذكره د. تمام حسان في دور التنغيم لبيان الوظائف النحوية في تحديد الإثبات والنفي لجملة لم تستعمل فيها أي أدوات استفهامية: «فقد تقول لمن يكلمك ولا تراه: أنت محمد، مقررأ ذلك أو مستفهماً عنه وتختلف طريقة رفع الصوت وخفضه في الإثبات عنها في الاستفهام، ولكن كل شيء فيما عدا التنغيم يبقى في المثال على ما هو عليه، ترتيب الكلمات في الجملة، والبناء في الكلمة الأولى، والإعراب في الثانية، و... كل ذلك إن يبقى في الحالتين لا يصلح أساساً للتفريق بين الإثبات والاستفهام، ولكن التنغيم هو ناحية الخلاف الوحيدة بينهما، وما دامت ناحية الخلاف هذه قادرة على أن توضح كلاً من المعنيين فللتنغيم إذاً وظيفة نحوية»² (حسان تمام، 1955م، ص164)

ومثاله في العامية عندما نسأل يدون أن يتصدر الكلام أداة استفهام فنقول: نجح أخوك، فتكون الإجابة بنعم أو لا، فالذي حول هذا النمط الثابت من جملة خبرية إلى إنشائية خالية من الاستفهام هو التنغيم وتباين الأصوات في نطقها، فالناظر بالعين قد لا يعي هل قائلها مخبر أو سائل لولا نغمة صوته ما استبان المقصد.

وبهذا فالتنغيم يؤدي دوراً يغنيك عن بعض الأدوات عند حذفها ومنه قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ﴾³ (سورة التحريم، الآية 1). فجملة تبتغي استفهامية رغم عدم احتوائها على أداة استفهام، فقد قدر المفسرون همزة استفهام محذوفة وإن التقدير "أبتغي مرضات أزواجك"، ورأي د. كمال بشر أن هذا التقدير صحيح من نظر المحللين ولكن لا ينبغي إلغاء دور التنغيم في تفسير الكلام والسير به إلى أنماطه المقصودة واحتياجه النحوية والدلالية، ويمكن أن يُستدرك بطرائق أداء الكلام العربي أداءً صحيحاً⁴ (ينظر كمال بشر، 2000م).

والأمثلة كثيرة نجدها أيضاً في أسلوب التعجب ومنه قول المتنبي:

أَبْنَتُ الدَّهْرِ عِنْدِي كُلُّ بِنْتٍ ... فَكَيْفَ وَصَلَتْ أَنْتَ مِنَ الرَّحَامِ؟⁵ (المتنبي، أبو الطيب، 1938م، ص146).

فالشاعر لا يسأل الحمى (بنت الدهر) مستفهماً عن الطريقة أو الكيفية لِخبرها، بل هو متعجب ومنصدم من قدرتها على اختراق كل عقبات جسده لتصل إليه فعبارة (كيف وصلت أنت من الزحام) تعجب رغم أنه لم يستعمل لا القياسي ولا غير القياسي من الأسلوب المتعارف عليه، فلا مناص من الرجوع إلى ظاهرة الصوت فيه واللون الموسيقي الذي يميزه ، فالتعجب نمط خاص في النطق ينفرد به.

ونجده كثيراً في النداء بدون حرف نداء، ومنه قوله تعالى: (يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ أَفْتِنَا) ¹ (سورة يوسف ، الآية 46)، فيوسف منادى وحذفت أدواته هنا لتدل على القرب والملاطفة والتودد لمكانة نبي الله يوسف، حيث أظهر التنغيم بوقف قصير بعد كلمة يوسف بأنه منادى وبذلك يتهياً السامع لطلب المشورة أو الفتوى، فتميّز المنادى المحذوف الأداة بنغمة صوتية تميل للصعود مع وقف وجيز.

وأيضاً في جملة الشرط وجوابه فالشرط يتميز بنغمة صاعدة دليلاً على أن الكلام الذي استمعت له لم يكتمل ولا يكتمل إلا بجوابه الذي له نغمة هابطة وبذلك يكتمل المبنى والمعنى معاً.² (ينظر كمال بشر ، 2000م).

ونظراً لما سبق نستطيع أن نقسم التنغيم بحسب وظائفه إلى:

وظائف وأبعاد نفسية انفعالية: تتعلق بالوجدان وتحمل صفات القبول والرضا والرفض والرد والسلب والإيجاب ومكانها القلب.

وظائف نحوية: متعلقة بضبطها أو آخر الكلمة بعد تحديد معناها من خلال النغمة الناطقة.

وظائف دلالية: تحمل معاني متعددة لتراكيب موحدة تحدد وجهتها ومعناها النغمة الصوتية.

المطلب الثاني: أنماط التنغيم

التنغيم سمي تنغيماً لتباين النغمات بين الارتفاع والانخفاض وهذا ما يحقق وضوح المعاني ويبرز أهميته في تجلية المنطوق، فأحياناً نسمع نغمة صاعدة عندما ترتفع موسيقى الصوت وأحياناً نسمع نغمة هابطة عندما تنخفض موسيقى الصوت وإذا لزمنا النغمة الصوتية مستوى واحد نحصل على نغمة مستوية³ (ينظر كمال بشر ، 2000م) .

ونسنستعرض معاً تقسيمات النغمة الصوتية وهي كالتالي:

أولاً: النغمة الهابطة:

وهي التي تهبط نغمة الصوت في نهايتها لذا سميت بالهابطة¹ (المرجع نفسه، ص535-536)

ولها أمثلة كثيرة ولكنها تظهر بوضوح في :

- أ. **الجملة التقريرية: تامة المعنى، نحو:** خالد في المدرسة .
- ب. **الجملة الاستفهامية: المتصدرة بأدوات الاستفهام، نحو:** أين علي ، والتي لا يكون جوابها بنعم أو لا.
- ج. **الجملة الطلبية:** وهي ما دلت على طلب ، كفعل الأمر نحو: اقرأ الدرس.

ثانياً: النغمة الصاعدة:

وهي التي يرتفع الصوت في نهايتها لذا سميت بالصاعدة ، ومن امثلتها ² (المرجع نفسه ، ص537)

- أ. **الجملة الاستفهامية:** والتي يجاب عنها بنعم أو لا ، نحو: محمد في المسجد؟ أو التي يتصدرها أداة استفهام كـ (هل أو الهمة) ، نحو: هل محمد في المسجد؟ فكلتا الجملتين لهما نفس المعنى وهو السؤال عن وجود محمد في المنزل، فأحد الجملتين تسير على نمط القواعد العربية في بناء جملة الاستفهام بأن تصدرت بأداة استفهام، أما الأخرى فهي خالية من أدوات الاستفهام ومع ذلك يستفهم عنها والذي دل على ذلك هو التنغيم، فالتنغيم اخذ دور أداة الاستفهام .
 - ب. **الجملة المعلقة:** وهي الجملة التي تفتقر لغيرها من الجمل لارتباط معناها بها، فهي غير تامة وتكون بشكل خاص في الشرط الأول من الجمل الشرطية، نحو: إذا درست، تنجح . أي ، في الوقوف عند الشرط قبل المجيء بجوابه ، وأحياناً تظهر النغمتان معاً الصاعدة والهابطية في الجملة الواحدة كجملة الشرط عند النطق بها كاملة بفعل الشرط وجوابه. ويستدل على ذلك بالفواصل وعلامات الترقيم ، كالفاصلة بين الشرط وجوابه³ (ينظر كمال يشر ، 2000م)
- #### ثالثاً: النغمة المستوية:

وهي التي تظهر جلياً في الجمل الإخبارية المعتادة فمثلاً عندما نقول: زينب ذكية، ونطقها بنغمة مستوية دلت على الإخبار عن زينب بأنها ذكية، أما إذا استبدلنا النغمة الصاعدة بالنغمة المستوية دلت على استفهام أو تعجب، وإذا نطقت بنغمة هابطة دلت على تهكم أو استهزاء.⁴ (المرجع نفسه، ص538)

المبحث الثاني: التنغيم في التراث العربي وأثره الدلالي في تفريق المعاني.

المطلب الأول: الجذور العربية للتنغيم، ظلال من آراء الفراء والجاحظ وابن جني والجرجاني.

اللغة العربية مادة حية خصبة ويكفي دليلاً على ذلك أنها لغة القرآن التي تعهد الله بحفظه وحفظها، وبَيِّنَ نبيّه -عليه الصلاة والسلام- أنه صالح لكل زمان ومكان، ولا يخفى علينا فصاحة العرب الأوائل وفطنتهم بالعربية وفنونها، فلاريب في ذلك؛ فقد نزل القرآن الكريم متحدياً ومواجهاً لفصاحتهم وقوة لغتهم حتى أنهم وصفوا النبي -عليه الصلاة والسلام- في بلاغة القرآن وقوته على لسانه بالجنون لما عجز كفارهم عن مجاراته ومما لا شك فيه أن القرآن الكريم وكلام العرب الفصحاء لمسنا فيه جانباً صوتياً مهماً، ألا وهو التنغيم، رغم أن علماء العرب الأوائل لم يضعوا له حدوداً

ولا درسوه دراسة موضوعية مخصصة إلا أن هذا لا ينفي ممارستهم له وامتهانهم إياه كأداة عرض في كثير من كلامهم، فحفلت كتبهم بالعديد من الإشارات لظاهرة التنعيم، وخاصة عند علماء النحو والتجويد وعلم الكلام، وسأختار نخبة من العلماء المتقدمين والمتأخرين لنبيين مواطن الشواهد في هذا الموضوع.

1. أولاً: الفراء:

هو يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور، أبو زكريا، سُمي بالفراء، لأنه كان يفري الكلام، أي يبين صحيحه من فاسده، ولد بالكوفة سنة 144 هـ وتوفي في طريق مكة سنة 207 هـ.¹ (السيوطي، جلال الدين، 2006م، ص333)

اثر التنعيم عند الفراء:

التمسنا أثر التنعيم عند الفراء وخاصة في كتابه (معاني القرآن) الذي خُص لتفسير القرآن الكريم، فقد تنبّه الفراء إلى دور التنعيم في تحليل النصوص القرآنية للسياق المنطوق بها، هو فرق بين تراكيب اللغة المتفقة بدلالة التنعيم ونسوق هنا جملة من الأمثلة:

1- قوله تعالى: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أََمْْوَئًا﴾² (سورة البقرة، الآية 27)، يقول الفراء: «على وجه التعجب والتوبيخ، لا على الاستفهام المحض، أي ويحكم كيف تكفرون؟»³ (الفراء، ابوزكريا، 1983م، ص23). فقد وجّه الفراء معنى الآية للتعجب لا الاستفهام والذي ساقه لهذا النغمة في نطقها ومراعاة مقام الحال، فجعل من الاستفهام الصريح (كيف) تعجباً.

2- قوله تعالى: ﴿فَمَا تُغْنِ النُّذُرُ﴾⁴ (سورة القمر، الآية 5)، ففسّر الفراء معنى الآية بقوله: «إن شئت جعلت "ما" جداءً، تريد: ليست تغني عنهم النذر، وإن شئت جعلتها في موضع (أي) كأنك قلت: فأني شيء تغني النذر»⁵ (الفراء، ابوزكريا، 1983م، ص104-105). أشار الفراء في هذه الآية إلى جواز الأمرين ولكن هناك فرقاً كبيراً بين النفي والاستفهام والذي فرق بينهما هو طريقة نطق الآية، فلو نُطقت بنغمة صاعدة بانئت استفهام، وإن نُطقت بنغمة منخفضة بانئت نفي، وهذا الاختلاف في طريقة النطق يرادفه اختلاف في المعنى.

3- قوله تعالى: ﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ﴾⁶ (سورة الدخان الآية 46)، -يقول الفراء- في تفسير معنى الآية: «فمعناه - فيما نرى والله أعلم- إنه توبيخ، أي: ذُق فإنك كريم كما زعمت. ولست كذلك»⁷ (الفراء، ابوزكريا، 1983م، ص44). وضح الفراء هنا أن فعل الأمر "ذُق" ليس على معناه الحقيقي، إنما انزاح لمعنى آخر وهو التوبيخ، والذي ساق هذا المعنى هو التنعيم.

2- الجاحظ:

هو عمرو بن بحر بن محبوب، أبو عثمان الجاحظ، من أهل البصرة. له كتاب البيان والتبيين، وكتاب الحيوان، وتوفي في محرم سنة خمس وخمسين ومائتين، وقد جاوز التسعين¹ (السيوطي جلال الدين، 2006م، ص228).

أثر التنعيم عند الجاحظ:

1- عقد الجاحظ في كتابه البيان والتبيين باباً أسماه "البيان" يقول فيه: "البيان اسم جامع لكل شيء كشف لك قناع المعنى وهتك الحجاب دون الضمير حتى يفضي السامع إلى حقيقته ويهجم على محصولة كائناً ما كان ذلك البيان ومن أي جنس كان الدليل، لأن مدار الأمر والغاية التي إليها يجري القائل والسامع إنما هو الفهم والإفهام، فبأي شيء بلغت الإفهام وأوضحت عن المعنى، فذلك هو البيان"² (الجاحظ، عمر ابن بحر، 1423هـ، ص11). نلاحظ هنا أن الجاحظ أطلق بالعموم على مفهوم البيان ومن البيان التنعيم فقوله: "كشف لك قناع المعنى" وقوله "يفضي السامع إلى حقيقته" وقوله "فبأي شيء بلغت الإفهام... فذلك هو البيان"، فيه إشارة جلية بيّنة إلى التنعيم، إذ ينطبق في وظيفته مع قوله عن البيان فبیه - أي التنعيم - يستبان المعنى ويصل السامع إلى حقيقة الأمر ويبلغ مراده من الفهم. وإن كان قوله على سبيل العموم إلا أنه لا يمكن أن ننكر أنه ينطبق على التنعيم إذا خُصّص.

2- كما عقد باباً أسماه بـ (جهازة الصوت و التشديق في الخطب) إذ يقول فيه: "وكانوا يمدحون الجهير الصوت ، ويذمون الضئيل الصوت"³ (المرجع نفسه، ص117) فيذكر الجاحظ في هذا الباب "إن العباس بن عبد المطلب كان جهيراً أي جهير الصوت وقد مُدح بذلك ، وقد نفع الله المسلمين بجهازة صوته يوم خُنين ، حين ذهب الناس عن رسول الله صلّ الله عليه وسلم ، فنادى العباس: يا أصحاب سورة البقرة، هذا رسول الله ، فتراجع القوم وأنزل الله عز وجل النصر وأتى بالفتح"⁴ (الجاحظ، عمر ابن بحر، 1423هـ، ص119). وقوله هذا يحمل دلالة قوية على دور التنعيم والاختصاص النعمة الصاعدة والتي تمثلت في الجهر وما لها من دور على السامع فقوله: "يا أصحاب سورة البقرة" "نزل من منزلة النداء إلى التعظيم والتنبيه فشد السامع لهذا و تحقق المراد إذ تراجع القوم ونُصر النبي عليه الصلاة والسلام وهذا يسوقنا إلى امرين:

الأول : أن التنعيم ذو وظيفة نحوية دلالية.

الثاني : أنه ذو وظيفة نفسية خطابية تأثيرية.

3- الناظر في كتاب البخلاء والحيوان للجاحظ وبخاصة في حديثه عن الفكاهة يرى ويلتمس جانبا صوتيا تمثل في واقعية اللغة وهو التنعيم ، يقول الجاحظ في كتابه الحيوان: " إن الإعراب يفسد نواذر المولدين ، كما أن اللحن يفسد كلام الأعراب ، لأن سامع ذلك الكلام إنما اعجبته تلك الصورة وذلك المخرج وتلك اللغة وتلك العادة"⁵ (الجاحظ، عمر ابن بحر، 2003م، ص187)..

فهنا إشارة إلى دور النغمة في توجه المعنى للفكاهة والسخرية أحياناً، فاختار نمط معين من اللغة حيث أنه حدد أن الكلام الملحون يناسب الفكاهة أكثر من المعرب ويبيّن أن مخرج الكلام أي صوته وعادته وعرضه وكل هذا ينصب في قالب نغمة الصوت وطريقة النطق، فهو أشار إلى التنعيم من منطلق درسه الا وهو الفكاهة.

فقد حرص على دقة التصوير وإصابة الوصف واصطناع الفكاهة من واقعية اللغة وطريقة نطقها بحيث تُفهم بحسب اعرافهم وعاداتهم ولهجاتهم ، يقول د. أحمد عبد الغفار عبيد في كتابه أدب الفكاهة عند الجاحظ: "هناك ملامح أسلوبية مشتركة بين البشري¹ (البشري، من كبار علماء الدين تولى منصب شيخ الازهر والتحق بدروس علوم الدين واللغة وكان ولوعاً بالأدب والشعر عكف على دواوين الشعراء . وكانت كتب الجاحظ من احب الكتب إليه وسمي بجاحظ مصر الحديثة). والجاحظ من أبرزها وأظهرها، إثبات اللغة الواضحة والألفاظ الدالة والتأنق في الصياغة واصطناع الأسلوب للموقع الذي يحمل الرنين والموسيقى"² (عبيد أحمد عبدالغفار ، 1982، ص148).

-ابن جني:

عثمان بن جني - ب سكون الياء معرب- كني ب أبو الفتح النحوي من أحقق أهل الأدب وأعلمهم بالنحو والتصريف، مولده قبل الثلاثين الثلاثمائة ومات سنة اثنتين وتسعين وثلاثمائة³ (السيوطي ، 2006م ، ص132).

أثر التنعيم عند ابن جني:

إن أكثر ما شدني في حديث ابن جني عن الأصوات قوله: "وعلى ذكر طول الأصوات وقصرها لقوة المعاني المعبر بها عنها وضعفها..."⁴ (ابن جني ،ابو الفتح عثمان، 1998م ، 210)، فنستطيع أن نُصدّق على تعبيره هذا تعريف التنعيم، فكانه عرفه الا انه لم يذكره كمصطلح فقط ،والأدلة التطبيقية كثيرة منها:

1- تأويله لقراءة الحسن البصري في قوله تعالى: "سَأْرِيكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ"⁵ (سورة الأعراف ، الآية 145)، يقول ابن جني: "ظاهر هذه القراءة مردود ، لأنه سأفعلكم من رأيت، وأصله سأريكم ثم خفت الهمزة بحذفها وإلقاء حركتها على الراء فصارت سأريكم"⁶ (ابن جني ابو الفتح عثمان، 1998م ، ص210).

نلاحظ أنه بيّن الوزن الصرفي الصحيح ثن المعدول عنه لما هو غريب وفسّر هذا العدل من منظور صوتي، إذ يقول: "... أراد سأريكم "وأُتبع الهمزة فأنشأ عنها واواً، وزاد في احتمال الواو في هذا الموضع أنه موضع وعيد وإغلاظ فمكّن الصوت وزاد إشباعه"⁷ (المرجع نفسه ص258). فنرى انه أشار إلى تنعيم الكلمة بنغمة استتالة

وصعود فأعطت دلالة غير الدلالة التي ستعطيها بدون الاستطالة فوضح أنها أفادت وأوقعت في نفس السامع معاني نفسية جديدة من نغمة نطقها.

2-فسر ابن جني تفسيراً صوتياً، قوله تعالى: "لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ"¹ (سورة البقرة ، الآية 225). "قالوا في تفسيره هو كقولك لا والله وبلى والله فإن سرعة اللفظ بذكر اسم الله تعالى هنا من التثبث فيه والإشباع له... أفلا ترى إلى تطعمك هذه اللفظة في النطق بها وتماطيك الإشباع معنى القسم عليها"² (ابن جني ، ابوالفتح عثمان ، 1998م ، ص254) وهنا يبين إشارة أن النغمة الصوتية تغنيك عن وضع علامات الاستفهام مستدلاً باستغنائه عنها بطريقة النطق فيشرح لك بأنك لو أشبعت صوتك في التلفظ باسم الله حَمَلَ معنى

الاستفهام وإن مررت به مروراً سريعاً خاطفاً عدلت عنه معنى القسم وقربت منه معنى اللغو فكأنك قلت لا والله وبلى والله، والذي فرق بين المعاني هو طريقة النطق ونغمة الصوت.

3-يعرض ابن جني في المحتسب دور الصوت في تحديد المعنى حينما تكلم عن إطالة الصوت في قول الشاعر:

بلى إنها تعفو الكلام وإنما ... نُوكَلُ بالأدنى وإن جَلَّ ما يمضي

فيقول: " .. أفلا تراه - لما كذب نفسه، وتدارك ما كان أفرط في اللفظ أطال الإقامة على قوله: بلى، رجوعاً إلى الحق عنده وانكفاتاً عما كان عقد عليه يمينه"³ (ابن جني ابوالفتح عثمان ، 1998م ، ص210).، فأشار إلى أن الشاعر استعمل النغمة الصاعدة مع الاستطالة والتمطيط في الصوت لإبراز معنى التراجع والندم.

رابعاً: الجرجاني:

هو عبد القاهر بن عبد الرحمن الجرجاني النحوي، الإمام المشهور أبو بكر، من كبار أئمة العربية والبيان، شافعيّاً، اشعريّاً، صنف المغني في شرح الإيضاح، وإعجاز القرآن، والكبير والصغير، وغير ذلك، مات سنة إحدى، وقيل أربع وسبعين وأربعمئة.⁴ (السيوطي ، جلال الدين ، 2006م ، ص10

أثر التنعيم عند الجرجاني:

1-في قوله تعالى: ﴿اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾⁵ (سورة البقرة ، الآية 15).: جملة مستأنفة لا معطوفة، يقول الجرجاني: «إن الحكاية عنهم بأنهم قالوا: كيت وكيت تحرّك السامعين، بأن يعلموا مصير أمرهموما يصنع بهم، أتنزل بهم النغمة عاجلاً أم لا تنزل، ويهملون، وتوقع في أنفسهم التمني».⁶ (الجرجاني ، عبد القاهر بن عبد الرحمن ، 1992م ، ص235). إن

المتأمل في نص الجرجاني سيلحظ إشارات بيّنة على التنغيم، بل له علاقة وثيقة ومباشرة به، وتمثل في نغمة الحكاية والأقوال. نقل المتكلم أسلوبهم فحكي عنهم حكاية التعجب أو حكاية تكذيبهم بالأداء الصوتي لا مجرد سرد كلمات القصة بل عبر تغييرات في نبرة الصوت جسدت ملامح الاستنكار والتهكم والتحدي، فهذا التلوين الصوتي هو لبّ التنغيم، أيضاً استشفاهم لمعنى الاستفهام وترقب الجزاء «أتنزل بهم النعمة عاجلاً أم لا تنزل ويهملون»، هذه صياغة استفهامية بدون استفهام. كذلك كون أن هذه الجملة مستأنفة وكأنها وقعت جواباً لسؤال مقدر، واليست بنغمة صاعدة بعد وقفة خفيفة؛ لتفصلها عن الآية التي قبلها بحيث تعطي إحساس الجزاء الشافي للغليل.

ويفسر الاستفهام في موضع آخر على أن مفاده التوبيخ، في قوله تعالى: (قَالُوا أَأَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا بِالْهَيْثِ يَا إِبْرَاهِيمُ) ¹ (سورة الأنبياء، الآية 62)، إذ يقول: «واعلم أن الهمة فيما ذكرنا تقريراً بفعل قد كان، وإنكاراً له لم كان وتوبيخاً» ² (الجرجاني، عبدالقاهر بن عبدالرحمن، 1992م، ص114)..

2-يقول الجرجاني عن تعليق الألفاظ بمعانيها: «فلا ترى كلاماً قد وصف بصحة نظم أو فساد أو وصف بمزية أو فضل فيه إلا وأنت تجد مرجع تلك الصحة، وذلك الفساد، وتلك المزية وذلك الفضل إلى معاني النحو وأحكامه» ³ (المرجع نفسه ص73) يرتكز هذا المصطلح (التعليق) بحسب وجهة نظر تمام حسان على قرائن ثلاث هي: لفظية، ومعنوية، وحالية، أما اللفظية فتستند عناصرها على أبواب النحو وتتمثل في (الإعراب، الرتبة، الصيغة، المطابقة، الربط، التضام، الأداء التنغيم) ⁴ (حسان تمام، 2006م، ص190). نرى علاقة الارتكاز بين الألفاظ ومعانيها للتنغيم فيها دور، وقد أشار إليه تمام حسان من ضمن قرائن الألفاظ، وبموضع آخر نجد الجرجاني يقول: «محال أن يكون اللفظ له صفة تستنبط بالفكر ويستعان عليها بالروية اللهم إلا أن تريد تأليف النغم» ⁵ (الجرجاني عبدالقاهر بن عبدالرحمن، 1992م، ص395)،

3-في باب تقديم المفعول، يقول الجرجاني: «أعني تقديم اسم المفعول يقتضي أن يكون الإنكار في طريق الإحالة والمنع من أن يكون بمثابة أن يوقع به مثل ذلك الفعل، فإذا قلت: أزيداً تضرب؟ كنت قد أنكرت أن يكون زيد بمثابة أن يضرب» ⁶ (المرجع نفسه ص121).

أولاً: تراه فرّق بالصوت لا بالحروف في تقديم المفعول، فكثير من تقديم المفعول لأغراض غير التمكين منها الاختصاص والتعظيم كما في قوله تعالى: (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ) ⁷ (سورة الفاتحة، الآية 5). وليس مرده تغيير ترتيب عناصر الجملة النحوية ففيه بُعد نفسي فرضه التنغيم الصوتي.

ثانياً: بروز الإنكار والإحالة، فقد قصد المتكلم إنكار وقوع الفعل وإحالة إطلاقاً، فكأنه نُطِقَ بنغمة صاعدة حادة تفيد الإنكار.

فهذه المعاني مدركة بالأذن قبل العقل، حيث جعلت المتكلم يوجّه اهتمامه لإنكار الفعل عن هذا الشخص بعينه، فالإنكار يحتاج لنغمة قوية تؤكد معناه، فأكد وعيه -أي الجرجاني- بالنغمة الصوتية ودورها في المعاني والنظم.

المطلب الثاني: الأثر الدلالي للتنغيم في المعاني .

كيف يحول التنغيم الصيغ التركيبية المختلفة من خبر إلى استفهام أو تعجب أو تهكم من دون تدخل أي أداة من الأدوات النحوية المستعملة للأساليب المختلفة، وما البعد النفسي الواقع من دور التنغيم؟

يلعب التنغيم دوراً هاماً في تصنيف الجمل إلى أنواع وأنماط مختلفة من جمل إثباتية أو خبرية إلى استفهامية أو تعجبية فتختلف الدلالة تبعاً لاختلاف نغمة الأداء الذي يسوق الجمل فتكتسب معاني جديدة موافقة لاختلاف المواقف النفسية والاجتماعية المعبرة عن رأي الناطق بها، فتتراوح بين قبول ورضا وغضب وتهكم وسخرية وتعجب وتمني واستفهام وإنكار وغيرها من المعاني التي تبرزها النغمة الصوتية .

فالتنغيم يمثل ركناً أساسياً في توجيه المعاني بناءً على كيفية النطق، يقول د. إبراهيم أنيس: "تغيير النغمة قد ينتج عنه تغيير في الدلالة في كثير من اللغات" ¹ (أنيس إبراهيم 1963م، ص47)، فيضفي على المنطوق معاني جديدة لا يمكن الوصول إليها بمجرد الاكتفاء بمعرفة معاني المفردات أو الكلمات المكونة للجمل. والتنغيم مفهومه وصف تغييرات الصوت التي يرسلها المتكلم في حديثه المتواصل، فاتفق الباحثون على أن التنغيم هو الاختلاف في درجات الصوت بين الارتفاع والهبوط، لذلك فالمعاني تفهم من طريقة نطق التراكيب بصور مختلفة النغمة، وهذه المعاني من مقصود المتكلم ويريد أن يضعها بين يدي السامع، فيهدف إلى إرسال معاني معبرة بنغمة تحمل مفاهيماً متنوعة كالعتاب أو الإنكار أو الرضا والسخط وغيرها من المعاني التي يملكها التنغيم فيمكن قائلها من أن يعبر عن شعوره وأن يرسل دلالاته الذهنية المقصودة والمختلفة، ولأن هذه المعاني التي يقصدها المتكلم لا تحملها مفردات الجملة في متن التراكيب.

فلنلاحظ من خلال دور التنغيم تقاسمه مع علم المعاني في إبراز المعاني - كما أسلفنا سابقاً - وذلك لأن وظيفتهما إبراز المعاني المضافة والتي لا تكون ضمن الجملة وإنما تفهم من سياقها، بالإضافة إلى القرائن اللفظية. والدور الأهم في تقاسمه مع علم المعاني يتمثل في تمييزه بين الجمل الخبرية والإنشائية، فجميع التراكيب تنحصر بين خبر وإنشاء، ولكل نوع منهما منهج وآلية، والناظر المتمعن سيلحظ فرقاً بيناً بينهما في طريقة النطق، فالجمل الخبرية تختلف نغماتها عن الإنشائية - كما وضحناها في المبحث السابق - ولنبيين ذلك ساقدم بعض الشواهد التي تحقق معنى التنغيم المستغنى عن أدوات تفريع معاني الجمل.

1- في مبحث الاستفهام:

يصبح التنغيم في لفظ هذه الجملة هو الوسيلة والدليل الوحيد الذي ينقل الجملة من إثبات إلى استفهام بدون أداة استفهام.

يقول عمر بن أبي ربيعة¹: (ابن أبي ربيعة ، عمرو ، 1997 ، ص231).

ثم قالوا تحبها قلت بهراً ... عدد الرمل والحصى والتراب

فعبارة "قالوا تحبها" تحتل وجهين.

الأول: أن تكون استفهامية، وكأنك تُسأل أحبها فيجيب الشاعر: قلت: بهراً.

والثاني: أن تكون خبرية، أي ، أن الناس لاحظوا شدة حبه لها، فقالوا: "تحبها"، وأكد هو على ما لاحظته الناس بقوله: "بهراً" أي: كثيراً، والذي يفرق بين المعنيين هو التنغيم، فلو قُصد الاستفهام لمالت إلى نغمة صاعدة والجواب بنغمة هابطة، ولو كانت خبرية لكانت بنغمة مستوية في "قالوا تحبها قلت بهراً".

وقول الكميت² (الكميت ، ابن زيد الأسدي، 2000م ، ص146).

طربتُ وما شوقاً إلى البيض أطربُ ... ولا لعباً مني وذو الشيب يلعبُ؟

وفي جملة "وذو الشيب يلعبُ" دالتان، الأولى الاستفهام الإنكاري، وكأن الشاعر يُنكر على نفسه أن يلعب وهو في سن المشيب، والثانية أن تكون دلالة الجملة خبرية، أي: كأن الشعر يقول: وذو الشيب يلعب ولا حرج، والذي يفرق بينهما النغمة، فإذا صعدت بالنغمة في قوله "وذو الشيب يلعب" مالت إلى الاستفهام بلا شك، وإذا كانت مستوية كانت إخبارية. فالمفردات في معانيها واضحة والتركيب النحوي من حيث الإعراب أو البناء ثابت يبقى المميز الوحيد الكاشف عن اختلاف دلالة الجمل هو التنغيم.

2- في مبحث الوعيد:

تتحول الجمل الخبرية إلى جمل تحمل دلالة الوعيد واليقظة والتحسر ليفطن سامعوها إلى الحقيقة، قال تعالى: "وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ"³ (سورة ق ، الآية 19 .)، فهذه ليست مجرد إخبار بل تحمل من معاني الوعيد والتحقق بيوم لا ريب فيه ما جعلها ناطقة بعينها.

3- في مبحث التعجب:

تُحدد النغمة الصوتية للعبارة انفعال النفس عند الشعور بأمر يتعجب منه ويجهل أمره وسببه، لتكون النغمة حديثاً عن محدث بدون التزام بأسلوب التعجب، كقوله تعالى: "كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ" ¹ (سورة البقرة ، الآية 28). فالناظر لا يمكن أن يفهم أن هذا سؤالاً يراد به جواب، بل هو استفهام إنكاري يحمل دلالة التعجب الشديد ويثير الدهول من حال الكفار بكفرهم، فساقت النغمة معنى التعجب والإنكار الشديدين.

4- في مبحث التهكم.

يتحول السياق الخبري إلى تهكمي ساخر عن طريق النغمة ليوقع في نفس السامع شعور السخرية والازدراء من وضع حال بعضهم.

يقول الله تعالى في عذاب أهل جهنم: "ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ" ² (سورة الدخان الآية 49)، فنحوياً الجملة لا تشمل أي أداة سخرية أو تعجب بل إنها تحمل تأكيداً ، ولكن الناظر المتأمل سيرى أنها انحدرت من الإخبار إلى شدة التهكم، فهو يصف أهل جهنم (العزة والشرف) تهكماً بحالهم فأين هي عزتهم وأنفتهم وكبرياؤهم الذي يتباهوا به في الدنيا؟!، فجاءت بنغمة انخفاض واستهزاء تسوق هذه المعاني ³ (ينظر الفراء ، 1983م)، وأخيراً فإن النحو يوجه خطابه للمفردات فيستثير العقل والمنطق، أما التنغيم الصوتي فيخاطب الجوانب النفسية والباطن والوجدان وتحول الدلالات المختلفة للجملة عبر النغمة حال الإنسان من انفعال لآخر، فتجعله يتعايش الحقيقة ويوازي الموقف الحقيقي، يقول د. كمال بشر: "ونغمات الكلام دائماً في تغير من أداء إلى آخر ومن موقف إلى موقف ومن حالة نفسية إلى أخرى" ⁴ (بشر، كمال ، 2000م ، ص533)

المبحث الثالث: نماذج تطبيقية عن صور التنغيم في العربية

سنقف في هذا المبحث لعرض نماذج من القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة والنصوص الشعرية لنطبق مفهوم التنغيم ونرى البعد الدلالي الذي يلعبه التنغيم في تراكيب الجمل النحوية المختلفة، وماله دور في إيقاع التأثير في نفس السامعين وماله أبعاد نفسية تصحب هذه الظاهرة. ستعرض الباحثة بعضاً من النماذج وتبرز من خلالها دور التنغيم فيها لتنتهي في المطلب الأخير بجملة من النتائج المستقرة من تطبيق التنغيم على النصوص المختلفة وبيان دوره في تحديد المعاني.

المطلب الأول : تحليل النصوص العربية من منظور التنعيم ودوره في إبراز المعنى.

أولاً: نصوص من القرآن الكريم:

1- قوله تعالى: ﴿هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْئًا مَّذْكُورًا﴾،¹ (سورة الانسان ، الآية). حرف "هل" ورد في الآية الكريمة بمعنى التحقيق لا الاستفهام أي، بمعنى "قد" فتكون على تقدير "قد أتى على الإنسان حين من الدهر"² (طنطاوي ، محمد 1997 م ، ص213)، فالجملة هنا تحولت من استفهامية إلى تقريرية فأبرزت النغمة الهابطة معنى التقرير، إذ لو كانت استفهامية لكانت صاعدة ولا تتناسب مع معنى وتفسير الآية، فالنغمة الصوتية قادت المعنى المراد من الآية السابقة.

2- قوله تعالى: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾³ (سورة الشرح ، الآية 1) .: هنا حادت همزة الاستفهام عن معناها الاستفهامي إلى التقريري، حينما نطقت بنغمة صاعدة فأفادت معنى تذكير النبي -صلى الله عليه وسلم- بفضل الله عليه بأن شرح صدره ليتذكر هذا الفضل عندما يضيق صدره مما يلقي من أذى قومه عند دعواهم لصلاح أمرهم وهم لا يستجيبون⁴ (ينظر ابن عاشور محمد ، 1984م).

3- قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ طَوَّاعًا غَنًّا وَاعْفُ عَنَّا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾⁵ (سورة البقرة، الآية 286). تأمل في العبارات: (لا تؤاخذنا - ولا تحمل - ولا تحملنا - اعف عنا - اغفر لنا - ارحمنا - انصرنا) هي أفعال تحمل دلالة الأمر في ظاهرها ولكن نغمة نطقها الهابطة التي تميل للتلطف والتذلل حولت معنى الأمر إلى معنى الدعاء والتضرع لله، فبواسطة النغمة نقلت المعاني من الأمر للدعاء⁶ (ينظر ابن عاشور محمد ، 1984م).

4- قوله تعالى: ﴿قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا﴾⁷ (سورة الزمر الآية9) فمعنى تمتع ليس الأمر، فهنا الأمر خرج من معناه الحقيقي إلى معنى جديد وهو التهديد والوعيد، وهذا الذي ساق معنى التهديد نغمة نطق الفعل تمتع، وكيفية أدائه⁸ (ينظر الفراء ، 1984م).

5- قوله تعالى : ﴿إِن تَقُولْ نَفْسِ يَا حَسْرَتَى﴾⁹ (سورة الزمر الآية 56).

فالنداء في قوله تعالى: ﴿يَا حَسْرَتِي﴾ ليس معناه النداء الحقيقي، بل معناه التحسر والتأسف والندم والاستغاثه، قال الفراء: قوله "يا حسرتي": "يا ويلتاه مضافاً إلى ياء المتكلم، يحول العرب الياء إلى الألف في كل كلام كان معناه الاستغاثه يخرج على لفظ الدعاء"¹ (الفراء، ابوزكريا ، 1983م ص421)، فقد فرق الفراء بين معنى النداء والاستغاثه والذي أعانه على التفرقة هو تنعيم "يا حسرتي"، إذ صدرت بنغمة هابطة يحفها التأسف والاستغاثه والحسرة لا بنغمة النداء الصاعدة.

ثانياً: في الأحاديث النبوية الشريفة:

1- عن عبد الله بن عمرو -رضي الله عنه- قال: "تخلف عنا النبي صلى الله عليه وسلم في سفرة سافرناها فأدركنا- وقد أرهقنا الصلاة- ونحن نتوضأ، فجعلنا نمسح على أرجلنا، فنادى بأعلى صوته: «ويل للأعقاب من النار مرتين أو ثلاثاً»"². (البخاري ، 1422هـ ، ص44) فعبارة "ويل للأعقاب من النار" لم تكن ليست مجرد تقرير، بل فيها معنى التحذير الشديد بسبب وقع النغمة الصاعدة على كلمة "ويل"، وقد صرح الراوي بذلك حين قال: "بأعلى صوته" ليصل المعنى المراد كاملاً لسامعيه.

2- في رد النبي صلى الله عليه وسلم لأسامة بن زيد عندما قتل رجلاً قال: لا إله إلا الله، «فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أقال لا إله إلا الله وقتلته؟»³ (النووي، أبو زكريا محي الدين، 1972 ، ص99). فارتفاع النغمة في بداية الجملة حولتها من مفهوم الاستفهام إلى الإنكار الشديد والصدمة لأثر الواقعة والتهويل للحدث بنبرة فيها حزم ولوم وتوبيخ.

3- قال النبي -صلى الله عليه وسلم-: «عجباً لأمر المؤمن إن أمره كله خير»⁴ (العسقلاني ، احمد ابن علي ابن حجر ، 1390هـ ، ص109) فكلمة "عجباً" تعطي نغمة تفرق عن الإخبار ألا وهي نغمة تميز ولفت انتباه وشد وجذب، يحرك الأعماق ويمنح شعوراً عميقاً وجدانياً تظهر فيه مكانة المؤمن العليا في السراء والضراء، فجاءت وكأنها شرط وما بعده جواب لما بعدها وإن أمره كله خير ينغمة هابطة وكأنها جواب لتنتقل المعاني والشعور للسامعين ويُفهم المراد.

4- قوله عليه الصلاة والسلام – لأحد عماله وقد جاء بهدياً بعد ان فرغ من عمله -: "أفلا قعدت في بيت أبيك وأمك فنظرت أيهدى إليك أم لا"⁵ (البخاري ، 1422هـ ، ص130) ، هنا ردّ النبي عليه الصلاة والسلام – على أحد ولاته العاملين بنغمة تحمل دلالة التهكم وشيئاً من التوبيخ على فعل لم يرض عنه ، فسرّد الحديث بنغمة هابطة تحمل دلالات عدم الرضا والتهكم والتوبيخ لتكون بمعنى : إن قعدت بيت أبيك وأمك هل ستساق لك الهدايا!!؟

5- عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «أَمَا يَخْشَى أَحَدُكُمْ إِذَا رَفَعَ رَأْسَهُ قَبْلَ الْإِمَامِ، أَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ رَأْسَهُ رَأْسَ حِمَارٍ، أَوْ يَجْعَلَ اللَّهُ صُورَتَهُ صُورَةَ حِمَارٍ»⁶ (العسقلاني ، احمد ابن حجر ، 1390هـ ، ص183).

فالناظر في قوله: "أما يخشى أحدكم" لا تحمل دلالة الاستفهام وإن تصدرت بأداة استفهام، بل هي بمفهوم آخر تسوقه نغمة قائلها، يقول الشارح -العسقلاني-: وأصلها "ما" النافية، دخلت عليها همزة الاستفهام وهو هنا استفهام توبيخ¹ (ينظر المرجع نفسه.)، أي النغمة التي نُطقت بها العبارة نغمة توبيخ من فعل لا يليق بالمسلمين، ولا يمكن أن يكون غرضها الاستفهام الحقيقي.

ثالثاً: في النصوص الشعرية:

1- قول امرؤ القيس:

أَيَقْتُلْنِي وَالْمَشْرِفِيُّ مُضَاجِعِي ... وَمَسْنُونَةُ زُرُقٍ كَأَنْيَابِ أَغْوَالٍ؟

ففي استفهامه (أَيَقْتُلْنِي) إنكارٌ، بمعنى أنه ليس بالذي يجيى منه أن يقال مثلي، فهو يخاطب عاذليه باستفهام إنكاري إثباتاً لقوته وشجاعته، فيصور نفسه بأنه ينام بين سيفه والرماح الحادة كأنياب الغيلان، فكيف به أن يتخوف من أي قاتل يتربصه. فهو استفهام إنكاري مائل للتهكم ممزوج بالتعجب والتحدي، ويبرز المعنى بالنغمة الصاعدة الممططة للعبارة الاستفهامية² (ينظر القزويني جلال الدين ، 1993م)

-قول جرير:

أَلَسْتُمْ خَيْرَ مَنْ رَكِبَ الْمَطَايَا ... وَأَنْدَى الْعَالَمِينَ بَطُونَ رَاحٍ؟

فعبارة "أَلَسْتُمْ" الغرض منها لا الاستفهام الحقيقي، بل تحمل معنى الإثبات والزام السامعين للاستجابة ببليد هم خير من ركب المطايا، لأن نفي النفي إثبات، فبعد أن يكون استفهاماً حقيقياً وأن يكون شكاً منه بحالهم، بل معناه التقرير والمدح والاعجاب.³ (بنظر شراب محمد بن محمد ، 2007م).

3-قول جرير:

أَعْبَدًا حَلَّ فِي شَعْبِي غَرِيبًا ... أَلُوْمًا لَا أَبَا لَكَ وَاعْتِرَابًا؟

فقوله "أَعْبَدًا"، يحمل دلالتين تعززهما نغمة التنغي بها، فتكون اما نداء أو استفهاماً، يقول سيبويه شارحاً له: «وأما عبداً فتكون على ضربين: إن شئت على النداء، وإن شئت على قوله اتفتخر عبداً ثم حذف الفعل»⁴ (سيبويه ، عمرو ابن قمبر، 1988م ، ص9). والذي يفرق بين الدلالتين نغمة النطق بعبارة إعبداً، فإن كانت بنغمة هابطة كانت أقرب للنداء باعتبار أن همزة النداء تكون للقريب فتصحبها نغمة هبوط لمناسبة مقام الحال، أما إذا كانت "أَعْبَدًا" بنغمة صاعدة كانت أقرب للاستفهام الإنكاري، فالعبارة واحدة وفيصل التقريق كان التنغيم.

كَمْ عَمَّةٍ لَّكَ يَا جَرِيرُ وَخَالَةٍ ... فَدَعَاءٌ قَدْ حَلَبْتُ عَلَيَّ عِشَارِي؟

فتحتل ان تكون "كم" في هذا البيت للإخبار ويقصد بها: الكثير، أي: كم عممة لك وخالة يا جرير الكثير من العمات والخالات، ويحتل أن تكون "كم" استفهامية، أي: كم عدد العمات والخالات؟ يريد معرفة عددهم لأنه يجهله، والذي فرق بين معنى الإخبار والاستفهام هو طريقة نطق الشطر الأول المتصدر بـ "كم"، فإن صاحبها نغمة صاعدة اتجه معناها نحو الاستفهام، وإن كانت بنغمة مستوية متصلة بما بعدها كانت بمعنى الإخبار عن الكثرة، يقول القزويني شارحاً البيت: «وعلى رواية الرفع تحتل الاستفهامية والخبرية»¹. (القزويني جلال الدين ، 1993م ، ص66)

5-قول السموأل بن عاديء:

وَمَا ضَرَرْنَا أَنَا قَلِيلٌ وَجَارُنَا ... عَزِيزٌ وَجَارُ الْأَكْثَرِينَ دَلِيلٌ .

فقله: "وما ضررنا" تحتل معنيين، الأول: النفي والمعنى لم يضرنا، والثاني: الاستفهام بمعنى (أي شيء ضررنا؟) وجارنا عزيز وجار الذين عددهم كثير في ذل، ومما لا شك فيه أن النغمة هي التي فرقت بين المعنيين، فنغمة الاستفهام تختلف عن نغمة النفي، فإذا نُطقت (وما ضررنا) بنغمة صاعدة كانت استفهامية، وإذا نُطقت بنغمة هابطة كان يناسبها النفي.² (ينظر الاصفهاني ، ابو على احمد ابن محمد، 2003م)

المطلب الثاني: خلاصة القول عن ظاهرة التنغيم وعرض نتائج الدراسة.

التنغيم ظاهرة صوتية متعلقة بالأداء الكلامي متمثلة في ارتفاع الصوت وانخفاضه أثناء النطق بالتركييب، واعني بالتركييب احترازاً من كيفية نطق المفردة الواحدة، فتلك ظاهرة النبر والتنغيم أعم منه، وقد لمسنا فيما عرضنا نماذج تطبيقية أن للتنغيم أثراً واضحاً في توجيه دلالة الجمل بناءً على الأداء النغمي تكتسب معاني جديدة كما له دور في معرفة السامع بالحالة النفسية التي تصحب قائل الجمل، وفي ذات الوقت ما له من وقع في نفس السامعين، فالمتكلم بالتنغيم كما أنه يرسل طابعه النفسي من خلال التنغيم، أيضاً يلبس هذه المشاعر في أنفس السامعين، فالعلاقة طردية بينهما أي المتكلم والمتلقي، وقد كان للعرب معرفة بهذا النمط الصوتي الفريد، وأكثر ما وجد عندهم هو جانبه التطبيقي لا التنظري المقعد، وكان انطلاقهم له من بابين باب دراسة علم الأصوات وباب دراسة التراكيب النحوية، أما علم الأصوات وجدناه جلياً عند ابن جني وسيبويه عندما تحدثا عن تمطيط الصوت والتفخيم، ووجدناه عند الجاحظ في وضع حدود أدب الفكاهة من منظورها الصوتي، وعند الجرجاني في علاقة الألفاظ بمعانيها غير أن الجرجاني كان أقل منهم عرضة لدرس التنغيم في كثير من المواضع، ولكن هذا لا ينفي مروره عليه في قليل من المواضع، والتمسناه كذلك عند

كثير من النحاة ورواة الأشعار وخاصة في تعدد الأوجه الإعرابية للتركيب النحوية للوحدة الألفاظ الحاملة لدلالات مختلفة، فالتنظيم يؤدي عدة وظائف صوتية ونحوية. ومُحال أن يغفل علماءنا الأوائل عنه.

فالتنظيم ملمح صوتي بارز في الكلام ويساهم في إبراز المعاني المقصودة من خلال أنماط التنظيم وسياق المقال ومقام الحال، وأيضاً أعدّه ذا وظيفة إقناعية وخطابية مهمة لشد الانتباه ولفت أنظار السامعين، فمن غير المستحب والمستساغ أن تكون كل أنماط الكلام بنغمات مستوية أو هابطة أو صاعدة بل إنها تنزاح عن الصواب إلى الخطأ والتخبط والعشوائية، وتفقد الكلام معناه ومغزاه، ونكهته، فالخطاب في سياق الحرب غير الخطاب في سياق الوعظ غير الخطاب في سياق التمني غير الخطاب في سياق النهي والإعراض وغير ذلك كثير، وكله يتوقف على نمط الكلام ونغمته، وفي سياق الجمل له دور في توزيع الأجناس النحوية، وبيان دلالتها المختلفة كالاتهامية والإنكارية والمنفية والإثباتية الإخبارية سواء في كلام العرب أو في القرآن الكريم، كما يتيح لك الإلمام بالكلام المحذوف من التام الموقوف عليه، وخاصة في القراءات والتجويد فهو يضيف على الخطاب القرآني ميزات عدة كالاتساق الصوتي البلاغي والاتساق الدلالي.

وأخيراً فإن موضوع التنظيم موضوع بالغ الأهمية وظاهرة صوتية فعّالة في البناء اللغوي، فهو الرابط والجسر الذي يربط المنطوق بالمكتوب ويفصح عن مقاصد المتكلم، فدراسته ليست منطلقاً ترفيهاً أو ترفاً صوتياً بل له قيمته التي تسهم في كشف الغموض وتوجيه الدلالة توجيهاً صحيحاً في كلام العرب عامة وفي القرآن الكريم خاصة، كما أن إلمام المطلع على أنماط التنظيم المختلفة يعد مفتاحاً لإتقان التواصل وإدراك مغزى الخطاب في إيصاله الرسائل على حقيقتها، ومن هذا فإني أوصي بالاهتمام باللغة المنطوقة في نظير المكتوبة في أهميتها وإدراج الدراسة الصوتية في قائمة المناهج التعليمية كوسيلة لإيصال المفاهيم والأفكار، واعتماد التنظيم في تحليل السياقات والنصوص الأدبية والدينية لها بعد أعمق لفهم الأبعاد الخفية وإرسال الانفعال بين المتكلم والسامع، أيضاً إدراجه ضمن فنيات الإلقاء والتأثير على المستمعين.

المصادر والمراجع

أولاً: القرآن الكريم.

ثانياً: المصادر والمراجع:

- إبراهيم أنيس - الأصوات اللغوية، مكتبة الأنجلو المصرية، ط5، 1975م، ص 103، ص103.
- إبراهيم أنيس - دلالة الألفاظ، مطبعة لجنة البيان العربي، القاهرة، ط3، 1963م، ص47.
- أحمد عبدالغفار عبيد، أدب الفكاهة عند الجاحظ، جامعة الأزهر، كلية اللغة العربية، المنصورة، ط1، 1982م، ص148.

- الأصفهاني، أبو علي أحمد بن محمد المرزوقي ، ت 421هـ ، شرح ديوان الحماسة ، تحقيق : عزيز الشيخ ، وضع فهارسه شمس الدين ، الناشر دار الكتب العلمية ، بيروت، لبنان ، ط1 ، 2003م ، ص84.
- البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل - صحيح البخاري، حققه: جماعة من العلماء، الطبعة السلطانية، المطبعة الكبرى الأميرية، بولاق، مصر، 1422هـ، ص149، ص44، ص130
- تمام حسان ، مناهج البحث في اللغة ، مكتبة الأنجلو المصرية ، 1955م، ص163 ، ص164 ، ص123 ، ص164.
- تمام حسان ، اللغة العربية معناها ومبناها ، الطبعة الخامسة ، عالم الكتب ، 2006م ، ص190 .
- الجاحظ، عمرو بن بحر بن محبوب ت 255هـ - البيان والتبيين ، تحقيق: علي بوملحم، الناشر دار ومكتبة الهلال ، بيروت ، 2002م ، ص84 ، ص11 ، ص117 ، ص119.
- _____ ، الحيوان ، تحقيق محمد باسل السود ، الناشر دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط2 ، 2003م ، ص187.
- الجرجاني عبدالقاهر بن عبدالرحمن ت 474هـ ، دلائل الإعجاز في علم المعاني ، تحقيق : محمود محمد شاكر ، الناشر مطبعة المدني القاهرة ، دار المدني جدة ، ط3 ، 1992م، ص235 ، ص114 ، ص73 ، ص395 ، ص121.
- ابن جني ، أبو الفتح عثمان ت 392هـ ، المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات ، تحقيق: محمد عبدالقادر ، الناشر دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط1 ، 1998م ، ص210 ، ص258 ، ص254 ، ص210.
- _____ ، الخصائص ، تحقيق : مازن المبارك ، دار الفكر ، دمشق ، ط1 ، 1988م ، ص372 .
- سيبويه، ت 180هـ - الكتاب، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، الناشر: مكتبة الخانجي، القاهرة، 1988م ، ص220 ، ص9 .
- السيوطي، جلال الدين - بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الناشر: المكتبة العصرية، صيدا، لبنان، 2006م ، ص333 ، ص132 ، ص106.
- شراب ، محمد بن محمد بن حسن ، شرح الشواهد الشعرية في أمات الكتب النحوية ، الناشر مؤسسة الرسالة ، بيروت ، لبنان ، ط1 ، 2007م ، ص262.
- ابن عاشور ، محمد ، التحرير والتنوير، الدار التونسية ، تونس ، 1984م ، ص408 ، ص141.
- العسقلاني ، أحمد بن علي بن حجر ، فتح الباري لشرح البخاري ، تصحيح : محب الدين الخطيب ، الناشر المكتبة السلفية ، مصر، طبعة السلفية الأولى ، 1390هـ ، ص109 ، ص183 ، ص183.

- الفراء ،أبو زكريا ، ت207هـ، معاني القرآن ، عالم الكتب ، بيروت ، ط3 ، 1983م، ص23،ص104-105 ، ص44،ص44،ص416، ص421.
- الفراهيدي ، الخليل بن أحمد ، معجم العين ، تحقيق: د.مهدي المخزومي ، د. إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال ، (د.ت) ص246.
- القزويني ،جلال الدين ، الإيضاح في علوم البلاغة ، تحقيق : محمد عبدالمنعم خفاجي ، دار الجيل ، بيروت ، ط3 ، 1993م، ص76،ص66،ص66.
- كمال بشر، علم الأصوات ، دار غريب ، القاهرة ، 2000م، ص 549ص498 ص531ص28ص543 ص541ص533 ص543ص535 ص536ص537 ص538ص538ص533.
- محمود السعران ،علم اللغة ، دار النهضة العربية ، بيروت ، 1980م، ص20.
- محمد طنطاوي، التفسير الوسيط ، دار النهضة ، مصر، 1997م ، ص213.
- النووي ، أبوزكريا محي الدين بن شرف ، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج ، الناشر، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ط2، 1972م، ص99.

الدواوين الشعرية:

- ديوان أبي الطيب المتنبي، صححه: مصطفى السقا، إبراهيم الإبياري، عبد الحفيظ شلبي، الناشر: مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر، 1938م.ص146
- ديوان عمرو بن أبي ربيعة ، تحقيق : محمد محي الدين ، دار الاندلس بيروت ، 1997م . ص231.
- ديوان الكميت بن زيد الاسدي ، تحقيق : محمد نبيل طريفي ، دار صادر ، لبنان 2000م، ص146

المجلات العلمية:

- آلاء حسين الشرع ، دريد عبدالجليل الشاروط ، ظاهرة التنعيم في العربية ، مجلة القادسية 2004م ، ص159.
- سليمان - الظواهر التطريزية ودورها في التلقي، ظاهرة التنعيم أنموذجاً، مجلة الآداب واللغات، العدد الثامن، الجزائر، 2017، ص8 ص9.
- عليان بن محمد - التنعيم في الدرس اللغوي، مجلة أم القرى لعلوم الشريعة واللغة العربية، 2007م ، ص46 ص49.